مجلة دراسات دوليّة

اسم المقال: مسلمو البلقان ومحاولات محو الهوية
اسم الكاتب: د. خليل مخيف لفته
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/6775
تاريخ الاسترداد: 2025/04/22 23:35 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة دراسات دوليّة جامعة بغداد ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

مسلمو البلقان ومحاولات محو الهوية

الدكتور
خليل مخيف لفته
قسم الدراسات الاوروبية
مركز الدراسات الدولية -جامعة بغداد

المقدمة

شاءت الاقدار الالهية ان يكون في وسط التجمع المسيحي اقلية مسلمة مما استدعى تأسيس نظام للعلاقة مع هذه الاقلية التي تنحل الى دولة مستقلة هي البانيا، ودولة تفككت هي البوسنة والهرسك واقاليم تابعة لدول اخرى، واذا كان نظام العلاقة البيني (الاوروبي-الاوروبي) قائماً على الاقصاء والالغاء في الماضي، فأنه في الوقت الحاضر اتجه هذا النظام الى التعايش والتعاون والتنسيق، فهل هذا النظام شمل مكونات الجسد الاوروبي؟ ولاسيما المسلمون داخل القارة وتحديداً في منطقة البلقان؟ هذا السؤال يجرنا الى الحديث عن هوية المسلمين في هذه المنطقة، ما هي الاساليب التي استخدمت للتعامل مع هذه الهوية؟

وانطلاقاً مما تعدم تفترض الدراسة ان الهوية الاسلامية في هذه المنطقة غير مرغوب بها ومن ثم فأن هناك اساليب ودوافع استخدمت لمحو الهوية في الماضي والحاضر، ولذا فأن الدراسة ترصد هذه الدوافع وتلك الاساليب.

ومن اجل الالمام بالموضوع كان من الضروري اعطاء نبذة عن واقع المسلمين في البلقان وهو ما تناوله المحور الاول من هذا البحث، في حين جرى تركيز الاهتمام في البمحور الثاني على اليات ووسائل محو الهوية الاسلامية في تلك المنطقة.

اولاً:مسلمو البلقان بين التاريخ والواقع

يبدو ان هناك خلافاً في تحديد منطقة البلقان بين الباحثين اذ يتضح وجود رأيين حول الموضوع، احدهما يطلق عليه المفهوم الضيق للبلقان والذي يحدد منطقة البلقان الواقعة في الجزء الجنوبي الشرقي من القارة الاوربية بـ((الجزء الاكبر من يوغسلافيا السابقة وكذلك البانيا وبلغاريا واليونان والقسم التركي في اوربا))[١]، في حين يذهب الرأي الاخر الى توسيع المفهوم ليشمل بالاضافة الى ما ذكر سابقاً المجر[٢]، علماً بأن لفظة بلقان تركية الاصل وتعني جبل.

ومن الناحية التاريخية تعود جذور المسلمين الى عهود تاريخية قديمة ولكن يمكن تلمس مسارين للوجود الاسلامي في هذه المنطقة هما:

١.المسار السلمي:

ونعني به انتشار الاسلام بصورة اعتيادية عن طريق حركة التجارة، اذ كان جماعة من المسلمين يتاجرون بالفراء مع اوربا استقروا على ضفاف نهر الفولغا في اراضي البلغار في نهاية القرن الثالث الهجري حتى ان هناك علاقات مع العاصمة الاسلامية(بغداد) اثناء حكم الخليفة المقتدر الذي استجاب لطلب المسلمين في تلك المنطقة وبعث لهم من يفقههم في الدين وهو"ابن فضلان" الذي كتب رسالة ممتعة عن احوال المسلمين في تلك البلاد عرفت بـ"رسالة ابن فضلان" او رحلة ابن فضلان، ثم توسع امر المسلمين في تلك البلاد اثر اعتناق قبيلة من قبائل التتر والمسماة بـ"القبيلة الذهبية" للاسلام وغزوها لاوروبا اذ سيطرت على منطقة شمال البحر الاسود وحوض نهر الفولغا الاسفل ثم هاجروا بعد ذلك وانتشروا في بلاد بلغاريا ويوغسلافيا والبانيا والمجر، ولكن كان تأثير هؤلاء على اهل البلد محدوداً[٣].

وهناك ما يعضد هذا الامر، اذ بعد ان وصل المسلمون الى هذه المنطقة حملوا كتبهم الدينية الى اهل تلك البلاد وظلوا ينشرونها بشكل معين، حتى ان حملاتهم الدعوية للاسلام وصلت الى الفاتيكان الامر الذي اثار قلقه وارسل البابا انذاك "نقولا الاول" رسالة الى البلغار جاء فيها "عليكم ان تتخلصوا من الكتب الكافرة التي اخذتموها من المسلمين" علماً بأن هذه الرسالة كانت في الفترة الواقعة عامي (٨٥٦)م و(٨٦٧)م، واذا ما اخذنا مفهوم البلقان الواسع نجد ان هناك اشارات تفيد بوجود اسلامي في المجر قبل الفتح العثماني يتخذ شكلاً مدنياً وعسكرياً حتى ان ياقوت الحموي نقل مشاهدات عن المسلمين هناك عن طلبة من تلك البلاد التقاهم في حلب، فضلاً عن ان الرحالة احمد الغرناطي دون

---

[١] المركز الاسلامي للابحاث السياسية، المسلمون في البلقان، مجلة رسالة الثقلين العدد ٤، س١، ١٩٩٣، ص١٥٤.

[٢] د.محمد الارناؤوط، "مسلمو البلقان بين عدوان الصرب واطماع الغرب" ضمن ندوة المنهاج التي نشرت في مجلة المنهاج، العدد ١٤، ١٩٩٩، ص٢٢٧.

[٣] نبذة عن مسلمين اوروبا واسيا الوسطى، مجلة الفكر الجديد، العدد١٥، ١٩٩٣، ص١٤٠.

لنا في كتابه "تحفة العجائب" معلومات مهمة عن مدى الحرية التي كان يتمتع بها المسلمون في تلك البلاد[٤].

وتذهب دراسات اخرى الى ان التواجد الاسلامي في هذه المنطقة لم يقتصر على نشاط القبائل التترية من جهة نهر الفولغا، وانما كان هناك نشاط اخر من جهة البحر الابيض المتوسط وتحديداً في القرنيين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين مارسته الدولة الفاطمية، اذ انتشر الاسلام الى شمال البحر المتوسط وجنوب شرق اوروبا وتعتبر البلقان جزءاً منه[٥].

ولكن يلاحظ على هذا النشاط انه كان محدود التأثير ولم يستطع ان يوسع من دائرة الاسلام في تلك المنطقة اذ ظل المسلمون اقلية صغيرة في وسط بحر مسيحي، ومما اعاق من هذا النشاط هو ان بعض مناطق البلقان وتحديداً المجر تحولت الى ممر مهم للحروب الصليبية حتى ان الممارسات القمعية ضد المسلمين انهت الوجود الاسلامي كلياً في المجر ثم انبعث فيما بعد[٦].

٢.الطريق العسكري:

ارتبط هذا الطريق بالدولة العثمانية التي استفادت من سقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣ في ايديهم من الاندفاع نحو البلقان، واستطاع بعد السيطرة على (تريسي) من الحاق الهزيمة بالصرب والبلغار في معركة كوسوفا ١٣٨٩م واخذوا الصرب ١٣٩١ والحقوا بها بلغاريا في نفس العام[٧].

ويتميز الفتح العثماني للبلقان بأنه كان تدريجياً اذ استغرق حوالي"١٥٠" عاماً، وان انتشار الاسلام في المنطقة استمر حوالي ثلاثة قرون، ومارست الدولة العثمانية عملية نشر الاسلام عبر مؤسسة تسمى"الدفشرمة" التي هي عبارة عن مؤسسة تنشر الاسلام في المناطق الريفية والجبلية من خلال جمع الاولاد وفق معايير معينة وارسالهم الى مدارس لنشر الاسلام وتعلم العربية والعلوم الاخرى، وهذه المدرسة عملت على تشكيل النخبة العسكرية والادارية الحاكمة في الدولة العثمانية حتى ان اهم المراكز العسكرية في هذه الدولة اخذها اولاد الدفشرمة وهؤلاء كان لهم دور كبير في نشر الاسلام في مواطنهم الاصلية امثال سنان باشا وخسروبك[٨].

---

[٤] الارناؤوط، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٨.
[٥] المركز الاسلامي، مصدر سبق ذكره، ص١٥٥.
[٦] الارناؤوط، مصدر سبق ذكره، ص٢٢٩.
[٧] المركز الاسلامي، مصدر سبق ذكره، ص١٥٦.
[٨] الارناؤوط، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٠.

والاخير شكل حكومة اسلامية في قلب البلقان وكان مركزها (سراجيفو) واشتهرت منطقة حكمه بأسم (سراي خسرو) وقد تغير اسمها فيما بعد الى (سراي او) وتعرف الان بـ"سراييفو" والتي هي الان مركز وعاصمة البوسنة والهرسك[٩].

ومع الفتح العثماني لهذه المنطقة الا ان انتشار الاسلام فيها بعد الفتح اخذ مسارين مختلفين احدهما طبق في شرق البلقان تمثل بتشجيع العثمانيين على استيطان مسلمي الاناضول في بعض المناطق حيث طبقاً لاحدى الاحصائيات تم توطين نصف مليون مسلم استقدموا من الاناضول في هذه المنطقة خلال ثلاثة قرون رغم حالة الخراب التي كان يعاني منها البلقان مع وجود الموارد الهائلة في حين ان عملية نشر الاسلام في غرب البلقان تمت عن طريق سكان المنطقة الاصليين وهنا اخذ شكلين ايضاً الاول الانتشار المحدود اذ ظل المسلمون يشكلون اقلية في بعض البلدان في حين كان الشكل الثاني رمزاً لانتشار مكثف للاسلام لدى شعوب اخرى بحيث تحول الى دين الاغلبية كما هو الحال في غرب البلقان ولاسيما عند البوسنيين والالبان وظلت منطقة البلقان بعد التراجع العثماني محل اضطرابات وثورات تم على اثرها استقلت المجر واليونان والاستقلال الذاتي لصربيا بشرط دفع الجزية للسلطات، ودخلت المنطقة في صراع نفوذ روسي ونمساوي مع الدولة العثمانية حتى الحرب العالمية الاولى التي انتهت بزوال الخلافة العثمانية وتفكيك اوصال الامبراطورية[١٠].

وتوزع المسلمون في البلقان الى جمهورية مستقلة هي البانيا يمثل المسلمون فيها الغالبية واقلية في بلغاريا والمجر واخرى في مناطق تبعت ما سمي في حينه بالاتحاد اليوغسلافي الذي تفكك الى صربيا ومقدونيا والجبل الاسود والبوسنة والهرسك واقاليم ذاتية مثل كوسوفو وسنجق، وتعرض المسلمون في هذه المنطقة الى حملات تطهير عرقي طيلة المدة من الحرب العالمية الاولى حتى وقتنا الحاضر مما دفع الكثير منهم الى الهجرة الى دول اخرى في حين عقدت بعض دول البلقان اتفاقات مع تركيا الكمالية لاستقدام اعداد كبيرة منهم فمثلاً في بلغاريا تم طرد حوالي ١٨٥ الف مسلم بناءً على اتفاقيتي عام ١٩٥٠ و ١٩٦٨ الى تركيا وطردت حوالي ربع مليون مسلم خارج البلاد بدعوى تغيير الاسماء[١١].

---

[٩] نبذة عن مسلمي...، مصدر سبق ذكره، ص١٤١.
[١٠] كوسوفا...التاريخ والمصير، (د.م، د.ن، د.ت)، ص٣.
[١١] الارناؤوط، مصدر سبق ذكره، ص٢٣٥.

ويمكن الاشارة الى عدد المسلمين في هذه المناطق على النحو التالي:

١.البانيا:

تشير الاحصائيات الى ان عدد سكان هذه الدولة حالياً ٤مليون نسمة وتبلغ نسبة المسلمين في هذا البلد حوالي ٨٠% وتعود اصولهم الى الاقوام التي كانت تسكن المنطقة قبل غزو اليونانيون والسلاف لها[١٢].

ويلاحظ ان هذا الشعب ظل متعلقاً بالدين الاسلامي رغم محاولات الغرب تفكيك الصلة بينه وبين الاسلام، ويعود هذا الامر الى[١٣]:

أ. ان الدولة العثمانية قدمت نموذجاً للتسامح الديني حتى ان بعض المستشرقين اشادوا بالحرية التي يتمتع بها غير المسلم انذاك مما شجعت الكثير من المسيحيين واليهود على الهجرة الى مناطق البلقان ثم اعتناقهم الاسلام.

ب. ان العثمانيين اكتفوا من الاخر اعلان اسلامه من خلال نطق الشهادتين مما دفع اعداد كبيرة من الشعوب غير الالبانية الى الدخول في الاسلام انذاك حفاظاً على ثرواتهم، كما ان بعضهم لم تتح له فرصة التعمق في فهم الاسلام، مما دفعهم فيما بعد الى التخلي عنه.

٢.البوسنة والهرسك:

يبلغ عدد نفوسها تقريباً"٥" مليون نصفهم مسلمون وتشير احصاءات عام ١٩٨١ بأن نسبتهم تبلغ ٥١،٦ من مجموع السكان مع العلم ان السنوات الاخيرة شهدت هجرة واسعة جداً بسبب الحرب التي دارت على ارض هذه الجمهورية بعد تفكيك اوصال الاتحاد اليوغسلافي، فضلاً عن المجازر التي ارتكبت بحقهم من قبل الصرب المدعوم روسياً وغربياً[١٤].

٣.كوسوفو:

يسكن هذا الاقليم حوالي مليون ونصف مسلم وهم يشكلون الغالبية في الاقليم اذ تبلغ نسبتهم ٩٠% وهم من اتباع المذهب الحنفي واتباع اهل البيت الشيعة، وكان الاقليم جزءاً من جمهورية البانيا، الا ان الصرب اقتطعوه عنوة بعد الحرب العالمية الاولى وضموه الى صربيا، وتسمى التشكيلات الاسلامية في المنطقة بـ"المشايخ"، اذ توجد ظواهر تدل على نشاط ملحوظ للفرق الصوفية فيها[١٥].

---

[١٢] نبذة عن مسلمي...، مصدر سبق ذكره، ص١٤١.

[١٣] المركز الاسلامي،...مصدر سبق ذكره، ص١٥٧.

[١٤] المصدر السابق، ص١٥٨.

[١٥] المركز الاسلامي...، مصدر سبق ذكره، ص١٦١.

اما الانتماء القومي للمسلمين في هذه المنطقة فهو الالبان ويشكلون غالبية المسلمين هناك ثم الى جانبهم المسلمون الاتراك والمسلمون الذين يرجع اصولهم الى البوسنة والمونتينغريون بالاضافة الى المسلمين الصرب[١٦].

٤.سنجق:

وتقع في وسط كل من البوسنة وكوسوفو ولكنها ضمت الى صربيا عنوة وتضم"٣٥٠" الف نسمة "٨٠%" منهم مسلمون وهم يناضلون من اجل الانفصال عن صربيا وشكلوا في ١٩٩١/٥/١١ مجلساً وطنياً لهم ضم وحدات تعنى بالشؤون الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والتعليمية والانسانية والسياسية ويتولى رئاسة هذا المجلس نائب رئيس الحزب الديمقراطي الاسلامي الذي يتزعمه علي عزت بيجوفيتش[١٧].

٥.مقدونيا:

وهي من المناطق التي يتواجد فيها المسلمون بنسبة كبيرة تصل الى حوالي ٥٠% من السكان، اذ ان عدد سكانها حوالي"٢" مليون، واكثر المسلمون هناك من اتباع المذهب الحنفي بالاضافة الى نشاط للفرق الصوفية اذ توجد "تكايا" لممارسة هذا النشاط، فضلاً عن "المشيخات"[١٨].

وتوجد اقليات مسلمة في باقي جمهوريات البلقان، ففي جمهورية الجبل الاسود تبلغ نسبتهم حوالي ٢٥،٧%، اذ يبلغ تعدادهم حسب احصاء عام ١٩٨١ "١٥٠" الف نسمة في حين يشكلون نسبة٧% في صربيا رغم ان عددهم يقترب من نصف مليون مسلم طبقاً لذات الاحصاء، نظراً لحجم السكان الاكثف في هذه الجمهورية بالقياس الى الجبل الاسود، وفي كرواتيا يوجد "١٥٠" الف نسمة أي ما يعادل ٣,٣% من مجموع السكان كما ان لهم تواجد في كل من سلوفينيا وفوجفودينا بنسبة ١,١% و٠،٧% على التوالي اذ يوجد ما مجموعه ٣٥ الف مسلم فيهما[١٩].

ويوجد مسلمون ايضاً في بلغاريا حوالي مليون وثلاثة ارباع المليون من مجموع السكان الذي يقترب من ٩ مليون شخص، وتعود اصولهم الى الاتراك والبلغار والغجر، في حين توجد نسبة ضئيلة منهم في المجر حالياً، اذ لا يتجاوزون"٦"الاف نسمة[٢٠].

ومن الجدير بالذكر ان هذه الارقام لا تمثل الحقيقة كاملة، لانها ارقام رسمية تعكس تصورات هذه الدول عن الاقلية المسلمة في اراضيها، بالاضافة الى انها لا تشمل المسلمون المتواجدون في منطقة البلقان على نحو الاقامة المؤقتة او الدائمة، ولا تشمل

---

[١٦] صحيفة الهلال الدولي، في ١٩٨٨/١٠/٢٦.
[١٧] صحيفة كيهان العربي، في ١٩٩٣/٢/١٤.
[١٨] المركز الاسلامي...، مصدر سبق ذكره، ص١٦٣.
[١٩] نبذة عن مسلمي اوروبا...، مصدر سبق ذكره، ص١٤١.
[٢٠] المصدر السابق،ص١٤٤.

مسلمو البلقان الذين نزحوا من ديارهم الى دول اخرى ولاسيما دول الغرب وتركيا واليونان.

ومع هذا يتضح ان التواجد الاسلامي في البلقان يمثل ظاهرة بارزة، اذ توجد دول تتمتع بالاغلبية المسلمة مثل البانيا والبوسنة والهرسك واقاليم ذات حكم ذاتي ككوسوفو، في حين توجد اقلية مسلمة في الدول الاخرى، ومن الواضح ان الوجود الاسلامي في هذه المنطقة وسط نادي مسيحي يثير الكثير من الاشكاليات الامر الذي دفع ذلك النادي للعمل على ازالة الهوية الاسلامية لهم باساليب شتى وهو ما نحاول الحديث عنه في الفقرة اللاحقة.

ثانياً: اساليب محو الهوية الاسلامية لشعوب البلقان.

عانى المسلمون في هذه المنطقة من الاخر الذي يريد ان يسلبهم هويتهم حتى اصبحت هذه المعاناة سمة لازمت حياتهم منذ اسلامهم حتى وقتنا الحاضر، والغريب ان هؤلاء المسلمين وقعوا تحت سيطرة الشيوعيين بعد الحرب العالمية الثانية، والذين عملوا بدافع من عقيدتهم الى محو الهوية الاسلامية ويمكن في هذا الصدد الاشارة الى نوعين من المحاولات هي:

أ. محاولات من مسلمين لازالة الهوية الاسلامية عن مسلمي البلقان وكانت هذه الظاهرة واضحة في البانيا التي حكمها مسلم شيوعي وحاول طمس الهوية الاسلامية للبلاد عبر اساليب ووسائل متعددة تلتقي مع الاخر وربما احياناً تفوقه وحشية وقساوة لانها صادرة من اهل البيت.

ب. محاولات من المسيحيين الذين كانوا يمسكون بزمام الحكم سواء أكان ذلك في زمن المرحلة الشيوعية أم في المرحلة التي تلتها.

ولابد من التأكيد على ان المرحلة الشيوعية ساهمت بشكل كبير في محو الهوية الاسلامية لشعوب المنطقة بحيث كانت لها انعكاسات واضحة على المرحلة التي اعقبتها، ومن الطبيعي ان تتفاوت الدوافع وراء عمليات محو الشخصية الاسلامية بين الشيوعيين والحكومات القومية، ولكن الاساليب قد تكون واحدة.

ولذا يمكن ان نحدد دوافع بعض الاطراف لاسيما الصرب وراء حملات التطهير العرقي واستخدام اساليب القوة والاكراه لتغيير هوية المسلمين في المنطقة بالامور التالية:

١. التخوف من الاسلام المتنامي في هذه المنطقة، لان ابنائها عندما يسألون عن قوميتهم يجيبون بأنهم مسلمون مما يعكس ان الاسلام يمثل لديهم هوية سياسية، كما ان تطلع ابناء المنطقة الى حاكمية الاسلام لتشمل عدالة الاسلام جميع جوانب الحياة في بلدانهم، كما ان بروز الدعوة الى احياء العقيدة الاسلامية كانت دافعاً وراء وقوف الغرب الى جانب الصرب في سعيهم المتواصل لانهاء الوجود الاسلامي الثقافي والسياسي في هذه المنطقة في ظل اصرار الغرب على اعتبار الاسلام الخطر الحقيقي الذي يهدد مستقبلهم لاسيما مع وجود دول اسلامية واقليات مسلمة في القارة الاوروبية يمكن ان تكون نقطة التصادم في

المستقبل[٢١].

ويتضح هذا الامر في الحملة الدعائية للصرب والكروات اثناء حربهم ضد مسلمي البوسنة بتأكيدهم على ان بيجوفيتش يريد تأسيس دولة الله في اوروبا على غرار النموذج الايراني وزعموا انهم يتولون الدفاع عن اوروبا بأسرها ضد خطر تحول البوسنة الى دولة اسلامية، بل اعلنوها صراحة انهم يحمون العالم المسيحي من "الجهاد المقدس" الذي تتضافر فيه كل الحركات والقوى الاسلامية في العالم[٢٢].

ولابد من التأكيد على ان العامل الديني كان حاضراً في اية مواجهة مع مسلمي البلقان منذ زمن طويل حتى الشيوعيين الذين يعلنون الالحاد ورفض الالتزام الديني برروا سياسة التمييز العنصري التي استخدمت ضد المسلمين لدوافع دينية حتى دفعت اكثر من ١٤ مليون مسلم بوسني الى العيش في تركيا منذ عام ١٨٧٨ وحتى وقتنا الحاضر[٢٣].

٢.العامل القومي:

تعتقد بعض دول المنطقة ان عليها واجب اخلاقي وسياسي يكمن في السعي لاسترداد حدودها التي تعتقد انها كانت لها في القرون الوسطى حتى ان صربيا والجبل الاسود ترى ان حدودها التي وضعت طبقاً لمؤتمر برلين تمثل نقطة البداية، لذا فأن صربيا مثلاً ترى ان البوسنة وكوسوفا مناطق صربية جاء الاتراك وغيروا هويتها الوطنية وجاء الدور الان لكي يقوموا بأسترداد هذه المناطق واعادة الهوية الصربية لها غير ابهين بما افرزه التاريخ من واقع جديد يتمثل بوجود اغلبية اسلامية في بعض هذه المناطق، وهكذا اصبحت ما يسميها احد الباحثين[٢٤]"الروح الاستردادية القومية" تحرك الاطراف الاخرى في التعامل مع المسلمين، كما انها تبرر احياناً الممارسات اللاانسانية واللااخلاقية التي ترتكب بحق المسلمين من قبلهم.

ولم تكن هذه هي قراءة اسلامية لمجريات ما كان يجري في البلقان، بل ان باحث اوروبياً تنبه الى هذا الامر عندما قال "والحق ان كلاً من صربيا وكرواتيا حتى ولو لم يعترفا بذلك كانتا تعملان من اجل اقتسام البوسنة والهرسك فيما بينهما بهدف خلق صربيا الكبرى وكرواتيا الكبرى حيث لا يكون للمسلمين فيها الا وضع الاقلية الدينية في احسن الاحوال"[٢٥].

---

[٢١] انظر رسالة الثقلين، العدد ٥، ١٩٩٣، ص ص٢١٢-٢١٣.

[٢٢] انجمار كارلسون، الاسلام واوروبا، تعايش ام مجابهة، ترجمة سمير بوتاني، السويد، ١٩٩٤، ص١٥٥.

[٢٣] المصدر السابق، ص١٥٥.

[٢٤] د.الارناؤوط، مصدر سبق ذكره، ص٢٣٤.

[٢٥] كارلسون، مصدر سبق ذكره، ص١٦٧.

٣.العولمة والوضع في البلقان:

من الواضح ان هناك رغبة امريكية جامحة للسير باتجاه العولمة التي تعني العمل على تذويب الخصوصيات الاثنية والقومية، ولذا فأن انهيار القطبية الثنائية رافقه يقظة غير عادية للهويات الوطنية والقومية والدينية وهو امر يتعارض مع العولمة، لذا لابد من ممارسة عملية الالغاء ومصادرة هوية الاخر بحجة ان العالم يتجه نحو شكل من اشكال الوحدة الذي لا يسمح ببروز واضح للهويات المذكورة، وتتعاظم اهمية وخطورة هذا البروز اذا ارتبط بمنطقه حيوية ومركزية بالنسبة للعولمة وهذا يفسر جانب من جوانب سعي الاخر للتخلص من غالبية المسلمين في البلقان[٢٦].

٤.الارث التاريخي:

من المعروف ان هذه المنطقة تمثل مسرحاً للصراع الديني(العثماني) من جهة والمسيحي (روسيا-النمسا) من جهة اخرى وقد شهدت حروب متعددة كانت النتيجة فيها لصالح العثمانيين، حتى عام ١٧٠٠م الذي شهد بداية التراجع العثماني في المنطقة، وتأتي معارك اليوم في البوسنة وكوسوفا وغيرها من مناطق البلقان ذات الاغلبية المسلمة في اطار الانتقام من الماضي، وهذا ما أكده باحثون صرب عام ١٩٩٢ عندما وصفوا حصار الصرب لسراييفو بأنه انتقام من موقعة كوسوفا عام ١٣٨٩م ودعوة الى تحرير اوروبا من الاتراك حتى ان وزير الاعلام الصربي انذاك وصف الصرب بالمحاربين الصليبيين الذين يحمون اوروبا من الاسلام وكذلك يحمون العالم من المؤامرة الاسلامية[٢٧].

اما الاساليب التي استخدمت لمحو الهوية الاسلامية فيمكن الاشارة الى اهمها بالاتي:

أ.القتل والتدمير:

تعرض المسلمون في مناطق البلقان في القرن الماضي الى حملات ابادة منظمة قامت بها السلطات الحكومية او الميليشيات التابعة لها، بحيث نجم عنها الاف القتلى، ففي بلغاريا مثلاً اخذت منظمتا "حراس الوطن" و"ثوار تركيا" على عهدتهما تصفية المسلمين في اربعينيات القرن الماضي وما تعرضت له البوسنة وكوسوفا في تسعينيات القرن الماضي تدخل في اطار عملية التطهير العرقي، حتى التظاهر لرفع الحيف الذي يلحق بالمسلمين في هذه المناطق يقابل بالقوة والعنف كما حصل للمسلمين في مقدونيا عندما احتجوا على ضرب طفل مسلم حتى الاغماء في عام ١٩٩٣، اذ حاصرتهم الميليشيات

---

[٢٦] محمد حسين الامين، بحث حول البلقان في ندوة منتدى المنهاج، نشر في مجلة المنهاج، العدد ١٤، ١٩٩٩، ص ٢٤٠.

[٢٧] د.محمد نور الدين، بحث في ندوة منتدى المنهاج، التي نشرت في مجلة المنهاج، العدد ١٤، ١٩٩٩،ص ٢٤٨.

المقدونية المدعومة من الجيش وقامت باطلاق النار عليهم مما ادى الى مقتل واصابة اكثر من (١٠٠) مسلم فضلاً عن اعتقال اعداد اخرى منهم[٢٨].

كما عمدت مثلاً السلطات الصربية الى تشكيل ميليشيات في اقليم كوسوفا من اجل ارهاب المسلمين في الاقليم ودفعهم قهراً الى الخروج منه في محاولة لاحداث تغيير ديموغرافي ينعكس على الهوية الاسلامية لتلك المنطقة، ولعل التدخل الصربي الواسع في الاقليم عام ١٩٩٨ وقيامه بأبادة شاملة بحجة البحث عن اعضاء الجبهة الوطنية لتحرير كوسوفا[٢٩]، يمثل معلماً بارزاً في هذا الاتجاه.

ب.عمليات التهجير الجماعي:

سعت الدول المسيحية الى تغيير الخريطة الديموغرافية لمناطق المسلمين من خلال ترحيل عدد كبير منهم من مناطقهم الى مناطق اخرى واستبدالهم باخرين مسيحيين من مناطق، ويتم ترحيلهم اما الى مناطق داخل الدولة او الى دول اخرى وتم الاستيلاء على ممتلكاتهم تحت ذرائع متعددة كانت في زمن الشيوعية باسم تأميم الملكية الفردية[٣٠]، وفي الوقت الحاضر بحجة مقاومة للسلطات المركزية، وغلفت سابقاً بأطار رسمي من خلال عقد الاتفاقات لاسيما مع تركيا بدعوى انهم اتراك وبالفعل وقعت عدد من الاتفاقات مع حكومة انقرة في الماضي حتى اصبح مثلاً عدد الالبان المتواجدين في تركيا يعادل عددهم في البانيا نفسها، ففي عام ١٩٩٥ مثلاً سعت حكومة صربيا في خطوة لافتة للنظر الى توطين الالاف من صرب كرواتيا في اقليم كوسوفا مما ادى الى نزوح اعداد كبيرة من المسلمين من الاقليم[٣١]، ولم تكتف بذلك، بل عملت على تغذية النعرات القومية بين المسلمين حتى يتم الاستفراد بكل فئة على حدة، ولا يكون هناك تعاون او تنسيق فيما بينهم لمواجهة حملات محو الشخصية الاسلامية لهم[٣٢].

ج.محاربة ادوات تعزيز الهوية الوطنية والاسلامية:

تركزت عمليات محو الهوية على جانبين الاول يرتبط بالهوية الوطنية اذ عمدت السلطات الصربية مثلاً الى اصدار قرار عام ١٩٩١ يقضي بالغاء حق التعليم باللغة الالبانية وبموجبه اغلقت ٩٧٥ مدرسة ابتدائية و١١٥ مدرسة ثانوية و٢٠ كلية جامعية مما ادى الى حرمان ٤٣٠ الف طالب الباني من التعليم وكذلك ١١٨ الف مدرس من وظائفهم، كل هذا في اقليم كوسوفا[٣٣]، كما عمدت مثلاً السلطات البلغارية على تغيير هوياتهم

---

[٢٨] عبد الكريم رؤوف، تاريخ الاسلام والمسلمين في بلغاريا، رسالة الثقلين، العدد ٢٣، ١٩٩٧، ص٢١٧.
[٢٩] انظر رسالة الثقلين، ع٢٥، ١٩٩٨، ص٢٤٣.
[٣٠] عبد الكريم رؤوف، مصدر سبق ذكره، ص٢١٧.
[٣١] رسالة الثقلين، ع٢٥، مصدر سبق ذكره، ص٢٤٣.
[٣٢] عبد الكريم رؤوف، مصدر سبق ذكره، ص٢١٨.
[٣٣] رسالة الثقلين، ع٢٥، مصدر سبق ذكره، ص٢٤٢.

باصدار هويات جديدة دفعهم الى التظاهر الذي قمع بقسوة كانت نتائجه (١٠٠) قتيل واعداد كبيرة من المعتقلين، ولم يقتصر الامر على الهوية الوطنية وانما شمل الهوية الاسلامية التي تشكل هاجسا اوروبيا مستمرا لذلك عمدت الدول البلقانية الى منع المسلمين من اداء شعائرهم الدينية من خلال غلق المساجد والجوامع ومدارس تعليم القران الكريم واللغة العربية وحرموا اقتناء الكتب الاسلامية ومنع ظاهرة الختان وكذلك الاحتفال بالاعياد والمناسبات الدينية، بل وصل الامر ببعض الدول مثل البانيا في زمن الشيوعيين الى تغيير الاسماء الاسلامية الى اسماء اخرى حتى ان اسم كوسوفا غير الى كوسوفو، الذي يرمز الى الاسم المسيحي لها، في حين ان الاول يرمز الى الاسم الاسلامي لها، وشمل ايضا تدمير المساجد، ففي البانيا لم يبق من المساجد سوى "٥٠" مسجدا نتيجة التدمير الذي لحق بها من قبل السلطات الشيوعية[٣٤].

د. الاعتقالات:

تعرض المسلمون ولازالوا الى حملات اعتقال وتنكيل لانتمائهم الديني حتى بلغ مجموع ما اعتقلوا خلال سني الحرب البوسنية اكثر من (٢٠٠) الف مسلم يتوزعون على ٩٤ معتقلا في البوسنة و٢٠ معتقلا في صربيا والجبل الاسود حتى انها حولت بعض الكراجات لاعتقال المسلمين، رغم ما يتعرضون اليه داخل هذه المعتقلات من اغتصاب للنساء امام الازواج او الاباء رافعين شعار "تريد تصفية حسابنا مع المسلمين" وابتكروا اساليب في اعتقال المسلمين منها دعوة الناس الى التجمع في مكان عام ثم يبدأوون باطلاق النار عليهم واقتياد الباقين الى مكان واسع لاعتقالهم كما حصل مع اهالي مدينة "فيشجراد"، اذ قتل منهم اكثر من (١٠٠٠) الف شخص واعتقل الباقون[٣٥].

هـ .الحرب الثقافية:

يتعرض المسلمون وتعرضوا في الماضي والحاضر الى حرب ثقافية من اجل تغيير ثقافتهم الوطنية والاسلامية، تمثلت في السابق باشاعة الكتب الالحادية التي تدعوا الى محاربة الدين، واثارة الشبهات حول قضايا معينة في الدين، كما مورست حملة توعية مضادة للاسلام من خلال الاشارة الى ما تراه شبهات تثار حول قضايا الاسلام، كما عملت على اشاعة الدس والتحريف في الكتب المدرسية لحرف الناشئة عن الاسلام[٣٦].

وفي ذات السياق منعت الدول المسلمين في تلك المناطق من اصدار الصحف والنشرات باللغة الام "الالبانية"، في محاولة منها للقضاء على الهوية الوطنية والاسلامية، وحاولت الصحافة المحلية المدعومة من السلطات الرسمية الايحاء بأن هذه الجماعات ارهابية تحاول الغاء الاخر، وتريد اقامة نظام حكم يعادي الغرب والمسيحيين، من اجل محاصرة المسلمين ومنعهم من نشر افكارهم والعمل على عزلهم اجتماعيا، ومن اجل تنفيذ

---

[٣٤] انظر رسالة الثقلين، ع١٤، ١٩٩٥، ص٢٥٣.
[٣٥] انظر رسالة الثقلين، ع٣، ١٩٩٣، ص٢٤٧.
[٣٦] عبد الكريم رؤوف، مصدر سبق ذكره، ص٢١٨.

هذا المشروع سعت عبر القنوات السياسية الى تقسيم مناطق المسلمين وتوزيعها على كل من صربيا وكرواتيا ومقدونيا لكي يتم محاصرتهم ثقافياً واجتماعياً[٣٧].

و.حملات التنصير:

للتبشير تاريخ طويل لاسيما في المجتمعات المختلطة وخاصة في المجتمعات الغربية المسيحية التي لها اهتمام على ان لا يطغى الطابع الاسلامي فيها وللتبشير دوافع سياسية اكثر منها دينية، حتى ان احد المستشرقين اشار الى حقيقة ان القوة التي في الاسلام هي التي تخيف اوروبا[٣٨].

وقد تكون عملية الاستجابة للتنصير ناجمة من ظروف اقتصادية كالفقر والعوز سواء أكان الامر يرتبط بالدولة ام بالافراد، فمثلاً في البانيا وتحديداً في العاصمة "تيرانا" استولت كنيسة على اكبر دار للايتام تضم (٢٥٠٠) طفل مسلم، بعد ان تعاقدت السلطات الالبانية مع "مبزة امل العالم" التابعة لكنيسة معمدانية في فلوريدا، اذ نص العقد على تأجير المبرة الدار لمدة (٤٩) عاماً وهي مدة كافية لاخراج الاطفال من الاسلام وتكوين جيل او قاعدة كبرى للعمل التنصيري في اوروبا، مع العلم بأن المتحدث باسم المبرة اعلن عن اعتقاد المؤسسة وجوب نشر الانجيل من خلال هؤلاء، معلناً ان برنامج عملهم في البانيا يتمحور حول نشر الانجيل وبناء او توفير جو اسري للاطفال، علماً بأن هذه المنظمة تعمل على استلام دور ايتام اخرى في البانيا، وقد اثارت نشاطات المبرة انتباه منظمة اليونسيف التي اعلنت ان في العقود الموقعة مع المبرة فقرة خاصة تمنح حق التبني بها دون غيرها، فضلاً عن وجود فقرات رهيبة ولكن اوقعت السلطات في شراك التوقيع عليها[٣٩].

وفي ضوء ما تقدم اتضح ان المسلمين في منطقة البلقان عانوا ولايزالون وربما سيستمرون بالمعاناة من التمييز القومي والديني من الاخرين لا لسبب الا لكونهم مسلمين، فالاخر اسير العقد التاريخية في العلاقة مع الاتراك، ولذا فهم يتوسلون بمختلف الاسباب التي تغلف بطابع الحضارة الغربية وضرورة المحافظة عليها من احتمالية غزو المسلمين لها، ومن هنا نجد ان الاسلوب العسكري الذي تقوم على الابادة الجماعية والقتل والتدمير للانسان ولما يملك هو المقدمة على غيره في التعامل مع المسلمين.

كما ان اساليب الاقصاء والتهميش وتغيير التركيبة السكانية لمناطق المسلمين هي الاخرى وسائل ناجحة في التأثير على الهوية الاسلامية والوطنية لهم.

ورغم هذا فأن المسلمين في تلك المنطقة ادركوا انهم محاربون لدينهم فازدادوا تمسكاً به واعتمدوا اليات كثيرة لزيادة الارتباط بالاسلام.

---

[٣٧] كارلسون، مصدر سبق ذكره، ص١٨٧.

[٣٨] د.محمد بحر العلوم، مسؤولية المرجعية والمراكز الاسلامية نحو مسلمي اوروبا، الفكر الجديد، ع٥، ١٩٩٣، ص١٨١.

[٣٩] انظر رسالة الثقلين، العدد٧، ١٩٩٤، ص٢٦٣.

الخلاصة

من خلال العرض السابق، تبين ان العلاقة بين المسلمين في البلقان والاخر المسيحي ظلت محكومة بقانون العداء والالغاء حتى في فترة الشيوعية التي يفترض انها تقف موقف الرافض للدين، واستمرت هذه العلاقة حتى الوقت الحاضر، محكومة بدوافع دينية وتاريخية وسياسية مستغلة حالة العداء الغربي للاسلام وما اشيع من وجود خطر اخضر يهدد الوجود الاوروبي، وان العلاقة بين الجانبين قامت على مبدأ الالغاء واذابة الهوية الوطنية والاسلامية للمسلمين في هذه المنطقة، بحيث ان اوروبا التي ترفع لواء التسامح الديني والدفاع عن الحقوق والحريات، نجدها تركن كل هذه الامور عندما يصل الامر الى المسلمين في البلقان.

وتعرض المسلمون نتيجة سياسة الالغاء الى اصناف من الاجراءات والممارسات التي لم يتعرض لها احد، اذ شملت حتى حرية اختيار الاسماء الخاصة اذ لابد لهم من استبدال الاسماء الاسلامية بأخرى، فضلاً عن مئات الالوف من القتلى والملايين المهجرين في الدول المجاورة، والحرمان من النطق والتعليم باللغة الاصلية لهم.

ويبدو ان الصرب والكروات لم يستفيدوا من حقائق التاريخ، التي تشير الى عدم امكانية الغاء هوية شعب بالقوة، بل وحتى دينه، اذ يمكن ان يؤدي ذلك الى تعزيز الارتباط بالهوية كرد فعل طبيعي على ممارسات المحو والالغاء، وهذا ما يحصل الان في البلقان.

المصادر

١. انجمار كارلسون، الاسلام واوروبا، تعايش ام مجابهة، ترجمة سمير بوتاني، السويد، ١٩٩٤.
٢. د.محمد الارناؤوط، مسلموا البلقان بين عدوان الصرب واطماع الغرب، مجلة المنهاج، العدد ١٤، ١٩٩٩.
٣. محمد حسن الامين، حول المسلمين في البلقان، مجلة المنهاج، العدد ١٤، ١٩٩٩.
٤. د. محمد نور الدين، تركيا ومسلمو البلقان، مجلة المنهاج، العدد ١٤، ١٩٩٩.
٥. المركز الاسلامي للابحاث السياسية، المسلمون في البلقان، مجلة رسالة الثقلين، العدد ٤، ١٩٩٣.
٦. عبد الكريم رؤوف، تاريخ الاسلام والمسلمين في بلغاريا، رسالة الثقلين، العدد ٢٣، ١٩٩٧.
٧. كوسوفا، التاريخ والمصير، (دون مكان للنشر، دون ناشر، دون تاريخ).
٨. نبذة عن مسلمي اوروبا واسيا الوسطى، مجلة الفكر الجديد، العدد ١٥، ١٩٩٣.
٩. د. محمد بحر العلوم، مسؤلية المرجعية والمراكز الاسلامية نحو مسلمي اوروبا، مجلة الفكر الجديد، العدد ٥، ١٩٩٣.
١٠. مجلة رسالة الثقلين، الاعداد ٥ في ١٩٩٣، العدد ٢٥، ١٩٩٨، العدد ١٤، ١٩٩٥، والعدد ٣، ١٩٩٣، والعدد ٧، ١٩٩٤.
١١. صحيفة كيهان العربي في ١٩٩٣/٢/١٤.
١٢. صحيفة الهلال الدولي في ١٩٨٨/١٠/٢٦.